

ما دور أولياء الأمور في تنمية طرق التفكير المتطورة؟

«لقد غير تعلم طرق التفكير طريقتي في تربية الأبناء إلى الأفضل!
وأمنيّتي الوحيدة هي لو كنت قد تعلمت طرق التفكير عندما كان
أطفالي صغاراً.»

- عماد، والد لطفلين

إن الخطوة الأولى التي يجب اتخاذها قبل البدء في تكوين بيئة منزلية بطريقة تفكير متطورة هي التأمل في طريقة تفكيرك الحالية في تربية الأبناء. وإذا كان منزلك مكوّنًا من أبوين، فمن المهم لكلا الأبوين التأمل في طريقة تفكيرهما. فمن المحتمل أن يكون لديكما طريقة تفكير متباينة؛ حيث يميل أحد الأبوين نحو طريقة التفكير المتطورة، والآخر يميل نحو طريقة التفكير الثابتة. وإن لم يكن الأبوان يعيشان في المنزل ذاته، فإنّ الحل الأمثل هو نقل أهمية طريقة التفكير المتطورة إلى أحد والدي الطفل. كما أنه من المحتمل أن تؤثر ثقافتك على أفكارك عن الذكاء، وأخلاقيات العمل، والتوقعات أو أي منها. فانتهج هذه الرؤية بعقل متفتح. وربما تكون قد تعرفت على نفسك أثناء قراءة الفصل الأول من خلال توصيفات طريقة التفكير

الثابتة أو المتطورة أو الأمثلة التي وردت عليهما. وإن لم تكن متأكدًا فآلق نظرة على التقييم بالشكل 1 بالجزء التالي: ستوفر لك أداة التأمل في طريقة التفكير لأولياء الأمور الإرشاد للتعرف على طريقة التفكير التي تنجذب إليها كولي أمر.

أداة التأمل في طريقة التفكير لأولياء الأمور

إن الغاية من هذه الأداة ليست لتشعر أن طريقتك في تربية الأبناء موضع هجوم، أو لتشعر بالذنب تجاهها. إنها توضح لك بكل بساطة المواضيع التي قد تكمن بها ردود أفعالك: متطورة أو ثابتة أو في المنتصف. لا يأخذ هذا الاستطلاع في الحسبان سجلك الشخصي مع طفلك أو أطفالك أو سماتهم الشخصية الفريدة أو وجهات نظرهم الخاصة. وإذا ما رأيت بعض الحالات الموصوفة في أداة التأمل مرات ومرات، فقد تتصرف بطريقة مقتضبة أو محبطة أو ثابتة. وإذا لم تجرب يوماً الحالة الموصوفة مع طفلك، فقد تنجذب إلى الإجابة بطريقة تفكير متطورة بالنظر إلى ما تعلمته حتى الآن، أو أنك ستتوقع رد فعل كنت تود اتخاذ.

تأمل الأسئلة والعبارات في هدوء، ولا تفكر في الإجابة «الصحيحة»، وإن لم تعكس الإجابات ماهية رد فعلك، فاختر الأقرب أو يمكنك تخطيها. وقد تعمدنا عدم طلب جمع الإجابات واكتشاف ما إذا كنت... «مفاجأة!». تفكر بطريقة ثابتة أم متطورة. تتذكر في الفصل الأول عندما ذكرنا أن لدينا بعض المناطق في حياتنا نميل فيها إلى طريقة تفكير معينة أو طريقة أخرى؟ فهناك مناطق في تربية الأبناء يكون من المحتمل فيها أن تميل إلى التفكير بطريقة متطورة، ومناطق أخرى تميل فيها للتفكير بطريقة ثابتة. وعند الانتهاء من الإجابة عن الحالات الموجودة في أداة تأمل طريقة التفكير لأولياء الأمور، قارن إجاباتك بالمعلومات الموجودة في الملحق أ (صفحة 175)، وتأمل المواضيع التي احتوت إجاباتك إن

كانت: ثابتة، أم متطورة، أم في المنتصف (محايدة). وفيما يلي بعض الأفكار التي قد تطرأ على خاطرِكَ بعد مراجعة إجاباتِكَ: «لم أدرك أنني أميل نحو التفكير بطريقة متطورة حقاً»، أو «أظن أنني أفكر بطريقة متطورة، ولكن إجاباتي تميل نحو طريقة التفكير الثابتة». إن الغرض من هذا التدريب هو مساعدتك على تأمل طريقة تفكيرِكَ الخاصة فيما يتعلق بحالات تربية الأبناء الشائعة.

أداة التأمل في طريقة التفكير لأولياء الأمور، الجزء الأول

بعد قراءة كل حالة أدناه، اختر الرد الأقرب إلى ردك المعتاد. (لا تحاول انتقاء إجابة «صحيحة»، كن صادقاً مع نفسك.)

1. يعود طفلك إلى المنزل بدرجة امتياز في ورقته. فأنت تقول:
 - أ. هذا رائع! أنت ذكي جداً!
 - ب. جيد، أنا أتوقع عملاً ممتازاً منك.
 - ج. يالللروعة! لقد آتت مذاكرتك ثمارها.
2. يعود طفلك إلى المنزل بنتيجة أقل من المرغوب بها في ورقته فأنت تقول:
 - أ. أخبرتك أن عليك قضاء المزيد من الوقت في العمل على هذا الأمر.
 - ب. لا أعلم سبب أن معلمك صارم في وضع الدرجات. عليك أن تتحدث معه.
 - ج. كيف أبليت في هذا الواجب المنزلي؟ ما الشيء المختلف الذي قد تقوم به في المرة المقبلة؟
3. سجل طفلك نقطة الفوز لفريقه أنت تقول:
 - أ. إنني فخور جداً بك. لقد فازوا بسببك!
 - ب. يالللروعة! لقد عادت كل هذه التمارين بالنفع!
 - ج. بالتأكيد حالفك الحظ. أحسنت!

الشكل 1. أداة تأمل طريقة التفكير لأولياء الأمور.

أداة التأمل في طريقة التفكير لأولياء الأمور،

الجزء الأول تابع

4. توترت طفلك ولم يبيل في تجارب الأداء أو الفاعلية مثلما كنت تتوقع أنت تقول:
أ. كنت رائعًا
ب. لم يكن هذا الأداء هو أفضل ما لديك. يمكنني ملاحظة كم كنت متوترًا.
ج. يمكنني ملاحظة أنك غير سعيد بأدائك، ما الذي تعتقد أن بإمكانك فعله لتصبح مستعدًا في المرة المقبلة لتشعر بمزيد من الثقة؟
5. تلاحظ أن طفلك يقضي الكثير من الوقت محاولًا اكتشاف شيء ما (لعبة، لغز، تطبيق، تكنولوجيا، غيرها). أنت تقول:
أ. إنك تعمل بجد لاكتشاف هذا الشيء. أنا ممتن أنك لم تستسلم.
ب. أعتقد أنك عملت على هذا الأمر لمدة كافية. اتركه وحسب.
ج. دعني أقوم بالأمر بدلاً عنك.
6. تلاحظ أن طفلك ينتهي من الأشياء بسرعة/يستسلم. أنت تقول:
أ. إنني ممتن أنك مهتم بالكثير من الأشياء.
ب. حاول أن تستمر في هذا الأمر فترة أطول، أو تتمرن أكثر، أو حاول التعامل معه بطريقة جديدة.
ج. لا بأس. إنني أرغب في الاستسلام عندما تصعب الأمور أيضًا.

أداة التأمل في طريقة التفكير لأولياء الأمور

الجزء الثاني

1. لا يؤدي طفلك المتفوق دائماً أداءً جيداً في موضوع معين. وتلاحظ أن الأشياء تأخذ منحى سيء في الواقع. كيف تتفاعل مع هذا الأمر؟
 - أ. تحاول معرفة كيف يؤدي الآخرون في هذا الصف. ربما الأمر متعلق بطريقة المعلم في عرض معلومات؟
 - ب. تدع طفلك يعرف ماذا ستكون التبعات (الابتعاد عن التكنولوجيا، وفعاليات اجتماعية محدودة) إن لم يظهر تحسناً سريعاً.
 - ج. تتحدث مع طفلك لمحاولة اكتشاف العقبات الموجودة في طريق التعلم (اضطراب، وتشوش، وعجلة، وغيرها) وما الذي قد يساعده.
2. تلاحظ أن طفلك يكافح خلال مهمة. أنت:
 - أ. تصرف انتباهها بمهمة أخرى.
 - ب. تدعها تعرف أن المكافحة لا بأس بها.
 - ج. تساعدها في المهمة.
3. تلاحظ أن طفلك يتجنب المواقف الصعبة (مثل: لعبة، أو رياضة، أو مقرر أكاديمي). عندما تسأل عن السبب، يذكر أن هذا الأمر «لا فائدة منه». رد فعلك على هذه الملاحظة:
 - أ. تسأل عن سبب اعتقاده أن هذا الأمر لا فائدة منه وأنصت لطريقته الثابتة في التفكير.
 - ب. تخبره أنه ليس عليه وضع نفسه في مثل هذه المواقف، يفعل ما يرتاح إليه فقط.
 - ج. دعه يعرف أنه لا بأس إن لم يستطع القيام بالأمر.
4. يغضب طفلك عندما يرتكب خطأ أهوياً. أنت:
 - أ. تخبره أن يهدأ وألا يغضب.
 - ب. تشارك قصة كنت قد فشلت فيها أو ارتكبت خطأً وتعلمت منه.
 - ج. تغضب أيضاً نظراً لأنك تعرف أنه كان على دراية بما هو أفضل.

الشكل 1. تابع.

ولي أمر بطريقة تفكير ثابتة؟ ولي أمر بطريقة تفكير متطورة؟ وماذا بعد ذلك؟

تقترح نتائج أداة التأمل في طرق التفكير لأولياء الأمور الأسلوب الذي تميل نحوه طريقة تفكيرك عندما يتعلق الأمر بتربية الأبناء في هذه اللحظة من الوقت. ويمكن أن تتغير طرق التفكير بعد ممارسة وتدريب معتمدين. وإذا اكتشفت أنك تميل نحو التفكير بطريقة متطورة، فركّز على العناصر التي تفكر فيها بطريقة ثابتة، أو بطريقة محايدة في المنتصف. وإذا اكتشفت أنك تميل نحو التفكير بطريقة ثابتة عندما يتعلق الأمر بتربية الأبناء، ففكر حول كيفية تبديل الاستجابات وردود الأفعال إلى المناطق التالية:

- ◆ التقديرات
- ◆ العروض الرياضية/الفنية
- ◆ عندما يكون طفلك محبباً و/أو عند الصراعات، و
- ◆ مواقف فشل طفلك أو أخطاؤه.

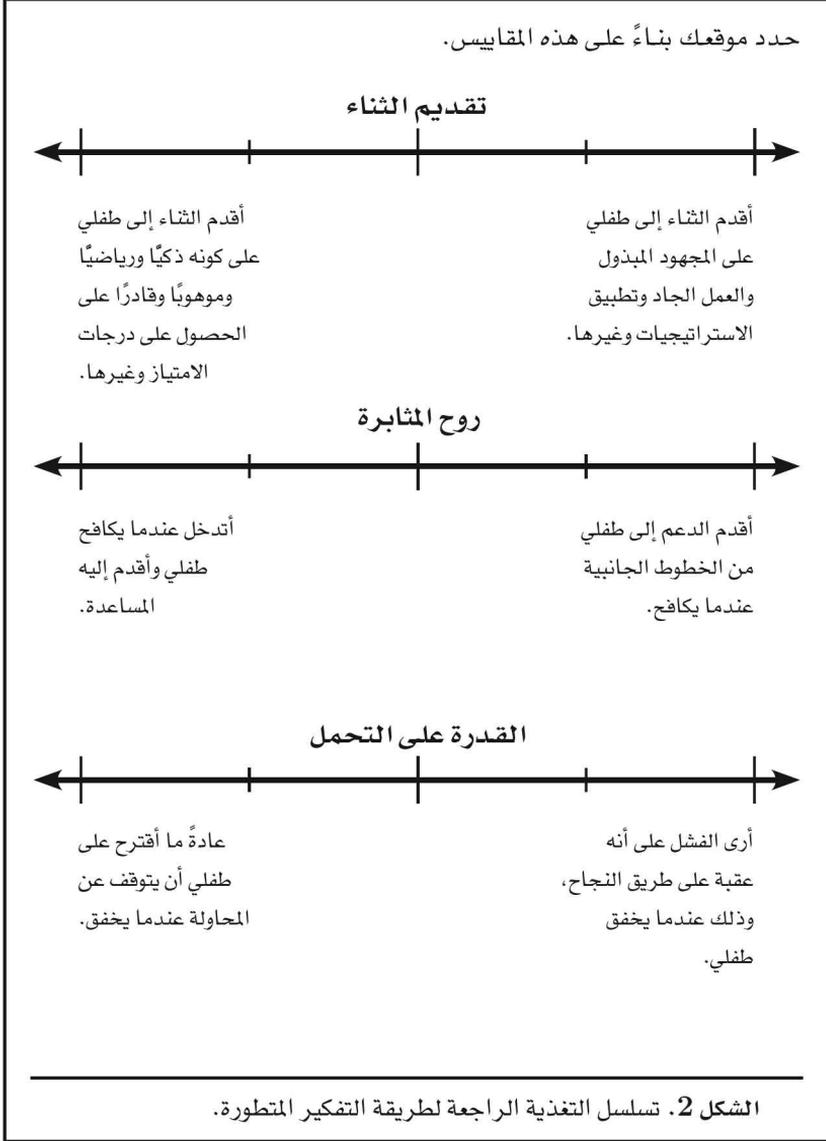
والعنصر الأكثر أهمية ردود الأفعال على ما يلي:

- ◆ فشلك وأخطاؤك، و
- ◆ القرارات التي تتخذها حول سبب وكيفية الاستسلام للمهام الصعبة.

ويمكن أن تتغير طرق التفكير بعد ممارسة وتدريب معتمدين.

ربما تود إلقاء نظرة على الشكل 2، تسلسل التغذية المؤثرة على طريقة التفكير المتطورة. تقسم أداة التأمل هذه الإجابات إلى ثلاث مناطق: الشاء، وروح المثابرة، والقدرة على التحمل. ألقِ نظرة على العبارات الموجودة على جانبي السهم، وضع علامة على الخط الذي يشير إلى مكانك في التسلسل.

وانظر إلى المناطق التي وضعت بها علامة بالقرب من عبارات التفكير الثابت (الجانب الأيسر)؛ تلك هي المناطق التي تحتاج إلى قدر أكبر من الوعي.



طريقة تفكير ولي الأمر

إن لطريقة تفكيرك تأثيرًا هائلًا على طريقة تفكير أطفالك، ولذا يجب علينا الاجتهاد في الحصول على طريقة متطورة لأنفسنا. إن الأمر يبدو أسهل مما هو عليه، وخاصة إذا كنا ننوي الميل تجاه طريقة تفكير ثابتة. فعندما يرانا أطفالنا نواجه التحديات، ونكافح، ونثابر لتخطي العقبات، فإنهم يبدأون في التفكير أن مثل هذه الدورات هي جزء من الحياة. كما أنهم يدركون أن مجرد فشلنا في شيء لا يعني أننا فاشلون. فيما تحدثنا مع أحد الآباء قال إنه كان غير مرتاح لرؤية أطفاله لفشله. فمن المهم له أن يكون القدوة الأفضل، كما أراد أن يتخذه صغاره قدوة. كان ذلك حتى تعلم المزيد حول قيمة الأخطاء، وأدرك أنه ليس عليه أن يبدو «مثاليًا» أمام صغاره. وأدرك أنه إذا رآه أطفاله يرتكب أخطاءً ويتعلم منها أو يعالجها سريعًا بطريقة إيجابية فإن هذه الرسالة ستبقى مدى الحياة، تاركةً تأثيرًا إيجابيًا عليهم. ولا يمكن الاستهانة بالتأثير الناتج عن تصرفاتكم والنماذج التي تقدمونها كأولياء أمور.

العائلات ذات طرق التفكير المتباينة

قد نكتشف أن أحد الوالدين يميل إلى طريقة تفكير معينة والآخر يميل إلى طريقة تفكير أخرى. وفي أحد لقاءاتنا بولي أمر لديه زوجة تفكر بطريقة مغايرة وصفها بأنها «تسعى» خلف ولي الأمر الذي يفكر بطريقة ثابتة. إن الخطوة الأولى في رؤية البيئة المنزلية بطريقة التفكير المتطورة هي إدراك أن أسلوبنا في تربية الأبناء متأثر بمدى قول كلمة نحن. وهناك من يريدون الاعتناء بأطفالهم بالطريقة نفسها التي لاقوا بها العناية، وهناك من يتخذون

قرارًا واعيًا بفعل العكس تمامًا. وطبقًا للمستشارة الطبية أليسون بيتس (Allison Bates) «إننا نقدم على العلاقات بأنظمة تفكيرنا الخاصة التي اكتسبناها من الطريقة التي تربينا بها، ولكن ذلك لا يعني أنها دائمًا الطريقة المثلى للاعتناء بعائلتك» (ليزا كادان (Kadan 2013) الفقرة 4).

إذا كنت وشريكك في تربية الأبناء تفكران بطرق مختلفة وقررتما العمل معًا في سبيل التحويل إلى طريقة تفكير مشتركة تتجه نحو طريقة التفكير المتطورة، فمثلها مثل أي شيء آخر، من المهم الحفاظ على تلك النقاشات خلف الأبواب المغلقة والظهور أمام أطفالكما كأبوين متفقين على رأي واحد. ابدأ بالتغييرات البسيطة، كالطريقة التي تقدم بها الثناء والتعليقات إلى أطفالك. وسيقدم الفصل الثالث إرشادات حول تقديم الثناء والتعليقات بطريقة تفكير متطورة. فإنها الخطوة الأولى نحو منزل يتبع طريقة التفكير المتطورة.

وقد تظن أن تعديل طريقة تقديم الثناء والتعليقات هو تحويل سهل، بيد أنه قد يبرهن على أنه تحدٍّ أكبر مما تعتقد، خاصة إذا كان قول «إنك ذكي جدًا»، و«عبقري!»، و«يا لك من طفل ماهر»، والعبارات المماثلة جزءًا من اللغة الدارجة المستخدمة في المنزل. وكملاحظة جانبية، فإن الأجداد هم مصدر هذا النوع من الثناء على الأغلب، وعلى كلِّ فإن أغلب الأجداد يعتقدون أن أحفادهم عابرة. وتؤكد من تخصيص وقت لشرح طريقة تقديم الثناء والتعليقات بطريقة تفكير متطورة للأجداد وجليسات الأطفال. ودعمهم يعلمون أن الأمر مهم لعائلتك ومفيد للصغار.

على سبيل المثال: بدأت إحدى الجدات وابنتها ياسمين محادثة أثناء تناولهما وجبة الغداء بالخارج؛ حيث كانت فرصة جيدة لياسمين لتشارك خياراتها في تربية الأبناء مع والدتها.

الجددة: كنت أخبر صديقتي نشوى كم أن ابنتنا الصغيرة سلمى ذكية، لقد كانت مندهشة بكل شيء تقوم به بالفعل.

ياسمين: نعم يا أمي، إن سلمى تبلي بلاءً حسنًا، ولكن دعينا نبقى فكرة أنها «ذكية» طي الكتمان. فأنا لا أريد لسلمى أن تسمع كم هي «ذكية».

الجددة: لم لا؟ إنها تبلغ من العمر 4 أعوام فقط، ومع ذلك فهي تعرف بالفعل كيف تقرأ وفي الواقع عندما نشرت صورتها وهي تقرأ كتابًا على موقع فيسبوك كان الجميع منبهرين. وقد حصلت الصورة على الكثير من الإعجابات. (الجددة تبتسم ابتسامة عريضة)

ياسمين: أعلم يا أمي لكنه من المهم بالنسبة لي أن تسمع سلمى رسالة إيجابية عن الجهد الذي تبذله والعمل الجاد الذي تقوم به. فعندما نخبرها أنها ذكية، فذلك سينقل إليها ماهيتها وليس ما تقوم به. أنا قلقة من أنه إذا تابعنا إخبارها أنها ذكية، فعندما تخفق في شيء ما فإنها قد تفكر في أنها لم تعد «ذكية».

الجددة: أنتِ تعلمين أنني اعتيت بثلاثة صغار وجميعكم كبرتم بطريقة جيدة. لطالما أخبرت ثلاثكم أنكم أذكاء. (مستاءة)

ياسمين: أرى أن الأمر صعب قليلًا لأن نصفها بالذكية عندما تقوم بشيء جيد. فهو يتطلب بعض التدريب، ولكنه أمر مهم بالنسبة لي. لذا دعينا نركز في الوقت الراهن على تقديم الثناء إليها على روح المثابرة والعمل الجاد الذي تقوم به. وإذا كنتِ ترغبين في الحديث حول ذكائها، فيمكننا إبقاء هذه المحادثة بيننا. (تبتسم)

المحادثة التالية بين الجد وابنه تيمور. لقد كان الجد وتيمور نجمين كبيرين في السباقات والملعب في الثانوية، والجد يعول الآمال على حفيده حميد.

الجد: حقًا من شابه أباه فما ظلم. هل رأيت سرعة حميد في الجري؟ سيكون نجم السباق من الجيل الثالث.

تيمور: نعم يا أبي إنه سريع، ولكنه لم يحسم رغبته من انتهاج ذلك المسار.

الجد: ماذا؟ لكن الأمر بداخلة بالوراثة! لقد كنت أخبره ذلك اليوم كم أنا سعيد أنه ورث مهارتنا في السباق.

تيمور: يا أبي إننا نتعامل مع مفهوم قوي للغاية يدعى طرق التفكير. فلقد تعلمه حميد في المدرسة، ولقد ساعده على البقاء متحمسًا وعلى استعداد للتعامل مع أي صراع قد يتعرض له. وعلى الرغم من أن معرفته كم أنت فخور به أمر مهم له، فسيكون من الجيد إن استطعنا التركيز على مقدار العمل الجاد الذي يقوم به أثناء لعبه كرة القدم أكثر من الثناء عليه كونه عداءً سريعًا.

الجد: أنا أحاول التأكد من أنه يعلم أنني أعتقد في كونه نجم سباقات بالفطرة. فلا يوجد شيء خاطئ في هذا الأمر!

تيمور: أعلم أن نيتك حسنة يا أبي. كما أن حميد يحبك ويعتبرك مثله الأعلى. ولكن بمجرد أن تعلمنا طرق التفكير، بدأنا ندرك أن حميد ينوي في بعض الأوقات أن يكون لديه طريقة التفكير الثابتة، فهو لا يرغب في تجربة أشياء جديدة أحيانًا إذا فكر في أنه لن يبلي بلائًا حسنًا فيها. ونحن نرغب في مساعدته للتعامل مع

التحديات التي سيتعرض لها، وذلك من خلال تقديم الثناء إليه على العمل الجاد، وتجربة أشياء جديدة، وعدم الاستسلام، بدلاً عن إخباره أنه «موهوب بالفطرة».

الجد: أنا حقاً لم أفكر في هذا الأمر من قبل. وأذكر أنك أيضاً لم ترغب في تجربة أشياء لا تشعر بالثقة حيالها عندما كنت في مثل عمره. هل تتذكر تجربتك الأولى في كرة السلة؟ أردت إنهاء الأمر بعد المباراة الأولى عندما فشلت في إحراز أي نقطة. وما زلت أفكر فيه كنجمي الصغير في السباقات، وذلك لأنني جده وفخور به، ولكنني أتفهم رغبتك في عدم قول هذا الأمر لحميد.

تيمور: شكراً لك يا أبي.

يعاني أولياء الأمور على الأغلب من نقاش الوراثة والتنشئة ويمكن أن يعزى نجاح الطفل أو عدم نجاحه إلى الجينات الوراثية، عند قول: «إنه يشبه جده، فهو ميكانيكي بالفطرة»، أو «أنا متعاطف معه، لطالما عانيت في مادة الرياضيات». وقال أوليفر جيمز (Oliver James 2008) من منظوره كطبيب نفسي ومؤلف: «إن الإيمان بالاعتقاد أن الجينات تحدد ماهيتك أو ماهية أطفالك تحديداً كبيراً أو كلياً فهو أمر ضار». (الفقرة 1). كما قدم تشبيهاً بالمرض العقلي، حيث كتب: «إن كنت تعاني من مرض عقلي، معتقداً أن سببه الجينات، فذلك يعني أن علاجك مستبعد، وعلى الأرجح لأنك تؤمن أنه لا يوجد شيء تقوم به حيال هذا الأمر» (جيمز 2008، الفقرة 1). فيجب ألا يلقي أولياء الأمور والمعلمون والمدربون وقائدو الكشافة وغيرهم من البالغين الذين يعتبروا قدوة باللوم على الجينات عندما يتعلق الأمر بالإمكانات

الملاحظة. وإذا نقل أي شخص بالغ في حياة طفل توقعاته الدنيا نقلاً لفظياً أو غير لفظي، فسوف يتأثر الإنجاز والنجاح تأثيراً سلبياً (ريتشي 2013). هناك سبب آخر مهم لنعلم أنفسنا المزيد حول طرق التفكير والذكاء المرن، وهو غرض تحسين حياتنا الخاصة بعيداً عن دور تربية الأبناء. وطبقاً لما قاله دكتور جويل ويد (Joel F. Wade 2012)، وهو مؤلف ومدرب حياة، فإن البالغين الذين يفكرون بطرق تفكير تتجه نحو التطور على الأرجح منخرطون في أكثر من مهمة صعبة، وفي المثابرة، وفي معالجة محنتهم سريعاً. تتفوق فرق الإدارة التي تفكر بطريقة تتجه نحو التطور على أولئك الذين يفكرون بطرق تتجه نحو السمات الشخصية. وجدير بالاهتمام ملاحظة أن الأشخاص الذين يفكرون بطريقة تفكير تتجه نحو التطور يمتلكون تقييمات دقيقة على نحورائع عن أدائهم وقدراتهم. أما أولئك الذين يفكرون بطريقة ثابتة لديهم تقييمات غير دقيقة بدرجة ملحوظة عن أدائهم وقدراتهم.

يجب ألا يلقي أولياء الأمور والمعلمون والمدربون وقائدو الكشافة وغيرهم من البالغين الذين يعتبروا قدوة باللوم على الجينات عندما يتعلق الأمر بالإمكانات الملاحظة. وإذا نقل أي شخص بالغ في حياة طفل توقعاته الدنيا نقلاً لفظياً أو غير لفظي، فسوف يتأثر الإنجاز والنجاح تأثيراً سلبياً.

تبنّت العديد من المؤسسات الكبرى طريقة التفكير المتطورة، بما في ذلك شركة مايكروسوفت. حيث أرسل ساتيا نادالا (Satya Nadella)، الرئيس التنفيذي لشركة مايكروسوفت، في يونيو 2015 المذكرة التالية لموظفي الشركة:

إن الأمر يبدأ بالاعتقاد أن أي شخص بإمكانه النمو والتطور؛ حيث إن هذه الإمكانيات مكتسبة وليست مقدرة مسبقاً، وبإمكان أي شخص تغيير طريقة تفكيره الخاصة. بينما تتعلق القيادة بإخراج أفضل ما في الأشخاص؛ حيث يقدم كل شخص علامة امتيازه، وإيجاد مغزى عميق في عملهم. فيما نحتاج أن نداوم على التعلم، وعلى حب الاستطلاع بنهم. كما نحتاج أن نكون على استعداد تام للميل نحو عدم اليقين، والمجازفة، والتحرك بسرعة عند ارتكابنا الأخطاء، مدركين أن الفشل يحدث في طريقنا نحو الإتقان. ونحتاج لأن نكون منفتحين على أفكار الآخرين، بحيث لا يقلل نجاح الآخرين من نجاحنا. (ميغ روسوف (Rosoff) 2015، كاتبة، الفقرة 5).

توصلت مجلة هارفارد بزنس ريفيو (HBR)، في تقرير لها عن كيفية الاستفادة الشركات من «طريقة التفكير المتطورة» (بناءً على مشروع بحث أجرته كارول دويك، إلى ما يلي:

يعبر مشرفو الشركات التي تنتهج طريقة تفكير متطورة بدرجة كبيرة عن رؤى أكثر إيجابية لموظفيهم، أكثر من مشرفي الشركات التي تنتهج طريقة التفكير الثابتة؛ حيث يقومونهم بطرق أكثر ابتكارية، وتعاونية، وملتزمة بالتعلم والتطور. ومن المرجح قولهم إن لدى موظفيهم إمكانيات إدارية. (فريق مجلة هارفارد بزنس ريفيو، 2014، الفقرة 5).

تقترح نتائج الدراسة أن الشركات التي تنتهج طريقة التفكير المتطورة تحتاج إلى أن تأخذ طريقة تفكير الموظف المحتملة بعين الاعتبار.

وكما ذكر سلفاً فإن أهمية طريقة تفكيرنا تتجاوز تربية الأبناء. حيث تؤثر طرق التفكير على كل مناحي حياتنا تقريباً، حتى علاقاتنا بشركائنا.

تعرف على جوانب التفكير بطريقة ثابتة في نفسك، وتحدث مع نفسك في منطقة تفكير بطريقة متطورة. ويمكن أن يتم هذا الأمر بصوت عالٍ ليتسنى لطفلك سماع مدى تغييرك لطريقة تفكيرك. وفيما يلي أفكار أخرى:

- ◆ إذا وجدت نفسك تقول «لا يمكنني فهم كيفية ملء بيانات هذه الوثيقة»، فأسرع بإعادة تفسيرها بإضافة «أعتقد أنني أحتاج إلى التحقق على الموقع الإلكتروني أو الاتصال بالبنك وأسأل عن بعض الأشياء. ثم بعد ذلك أنا متأكد من قدرتي على ملء البيانات بدقة».
- ◆ كن على دراية بعبارات طريقة تفكيرك الثابتة مثل «إنني أظهو بطريقة سيئة»، أو «لم أكن أبلي حسنًا في الرياضيات»، أو «أتمنى لو بإمكانني العزف على البيانو مثلك» (يمكنك ذلك ببعض التعليمات والاستراتيجيات الصحيحة والممارسة وروح المثابرة)
- ◆ تجنب إلقاء اللوم على الجينات الوراثية لأي شيء، سواءً إيجابي أو سلبي. احذر مقارنة أطفالك بقرنائهم أو بأطفال آخرين.
- ◆ قدوة! إننا نريد أن يستمتع أطفالنا بعملية تعلم أي شيء، وليس النجاح فقط. كن مثلاً يحتذى به لهذا المفهوم في المنزل. على سبيل المثال: بعد الحصول على نتيجة أقل من المرغوب بها في محاولة طهو شيء صعب، قد تقول: «لقد تعلمت حقًا الكثير بصناعتي تلك الكعكة» بدلاً من قول: «يا لها من مضيعة للوقت. لقد كانت محاولة فاشلة تمامًا. ولن أجرب هذه الوصفة مجددًا».
- ◆ أعد توجيه عبارات طريقة التفكير الثابتة الخاصة بأولادك. فإذا سمعت طفلك تقول: «أنا بارعة بالرياضيات» أو «أنا فقط لا يمكنني فهم كتابات شكسبير» فأشر إلى أفكار طريقة التفكير الثابتة ووجهها إلى منطقة تفكير بطريقة متطورة. وذكرها بأنها قد لا تتمكن من الفهم إلى الآن، لكنها ستتمكن من الفهم من خلال طرح الأسئلة، والعثور على استراتيجيات جديدة، ووضع أهداف صغيرة، والعمل بجهد.

ولمزيد من الأفكار، سيوضح الفصل الرابع أهمية نقل الفهم الأساسي للدماغ باستخدام هذه اللغة مع طفلك.

أسئلة للنقاش للتحقق من طريقة تفكير طفلك

الآن وقد تفحصت طريقة تفكيرك، هيا نفكر حول طريقة تفكير أطفالك. يميل الأطفال الصغار بالفطرة إلى التفكير بطريقة متطورة، هل تتذكر الدراسة التي ذُكرت في الفصل الأول؟ حيث كلما ارتفعنا في الصف المدرسي، اعتقد الطلاب في أن الذكاء سمة ثابتة.

إننا نحتاج للبدء عندما يكون أطفالنا صغارًا، كما نحتاج للعمل للإبقاء على رؤيتهم في سن الخامسة لإمكاناتهم وقدراتهم. كيف يمكننا تحديد ما إذا كان أطفالنا يميلون إلى التفكير بطريقة متطورة أم ثابتة؟ من خلال الملاحظة، والاستماع، والتحدث إليهم. اطرح الأسئلة التالية مع بعض التباينات حسب كل طفل على حدة. حيث يمكن استخدام هذه الأسئلة لكل الأعمار، بينما تحتاج فقط لتعديل كلمة أو اثنتين بناءً على عمر طفلك:

- ◆ هل تعتقد أن كل شخص بإمكانه تعلم أشياء جديدة؟ ولماذا؟
- ◆ هل تعتقد أن بعض الأطفال ولدوا أذكى من غيرهم؟ ولماذا؟
- ◆ هل تعتقد أن بإمكاننا حقًا تغيير معدل ذكائنا؟ ولماذا؟

إننا نحتاج للبدء عندما يكون أطفالنا صغارًا، كما نحتاج للعمل للإبقاء على رؤيتهم في سن الخامسة لإمكاناتهم وقدراتهم.

نتوقع اتفاق كل الأطفال على إجابة السؤال الأول، أنه بإمكان الجميع التعلم. فهو مجرد سؤال افتتاحي. وعند السؤال عما إذا كان هناك بعض الأشخاص قد ولدوا أذكى من غيرهم، أنصت جيداً لما سيقوله طفلك. وفيما يلي بعض نماذج إجابات أطفالك:

- ◆ بعض الأطفال كسالى ويشعرون بالملل من عملية التعليم.
- ◆ الجميع يبداون من المستوى الأول.
- ◆ ولد الجميع بمعدل الذكاء نفسه.
- ◆ لم يولد الصغار أذكياً، بل إنهم يغدون أذكياً.
- ◆ يولد بعض الصغار أذكياً في الرياضيات وآخرون لا.

إذا ظن أطفالنا أننا نولد بمعدل ذكاء معين، فإن تفكيرهم عبارة عن طريقة تفكير ثابتة. وإذا اتفق الأطفال على أن بإمكاننا التغيير لنصبح أذكياً، فإن طريقة تفكيرهم متطورة. تحاور مع كل طفل من أطفالك على انفراد ودون ملاحظات فكرية عن موضع طريقة تفكيرهم. وعند البدء بالتحول إلى منزل بطريقة تفكير متطورة، اطرح أسئلة مماثلة في محادثة من حين إلى آخر لمعرفة موضع طريقة تفكير أطفالك في تسلسل طريقة التفكير المتطورة أم الثابتة.

ماذا عن الدرجات في الصفوف المدرسية؟

إذا كنت تقرأ هذا الكتاب خلال السنة الدراسية، ففكر في أقرب المحادثات التي أجريتها مع طفلك. هل كان منها ما يتمحور حول درجات فرض مدرسي، أو اختبار، أو بطاقة تقييم؟ على الأرجح نعم. يغالي كثير منّا في أهمية الدرجات. إننا نتحقق من الدرجات عبر الإنترنت مراراً حتى نعرف

إداء أطفالنا في الفرض المدرسي أو الاختبار أحياناً قبل أن يفعلوا هم. إن الدرجات تحدد موضع طفلك في لحظة واحدة من الوقت في موضوع دراسي واحد في مهارة واحدة أو مفهوم واحد أو مجال محتوى واحد معين؛ إذ إنَّ الدرجات لا تتنبأ بمستقبل الطفل أو تحدد قدراته. فإن الدرجة «السيئة» فرصة للتفكير ملياً وإعادة التنظيم، والتعلم من جديد. كما أن الدرجات غير متساوية مع كل المعلمين، ولا تعكس دائماً مدى فهم الطالب، وفوق كل شيء، فالدرجات ترسخ التفكير بطريقة ثابتة. (وكملاحظة جانبية، تبنت بعض المناطق التعليمية أنظمة تصنيف تستند إلى معايير، والتي يمكن أن تكون أكثر توجهاً نحو التطور.)

إن الدرجات تحدد موضع طفلك في لحظة واحدة من الوقت في موضوع دراسي واحد في مهارة واحدة أو مفهوم واحد أو مجال محتوى واحد معين

تنشئ الدرجات شكلاً من أشكال الحوافز الخارجية. حيث تأتي المكافآت الخارجية من مكان خارجي. ومن الأمثلة على هذه الأشياء: الأموال، والملصقات، وبالتأكيد بما في ذلك الدرجات. ويشرح دانيال بينك (Daniel Pink) (2009) مؤلف كتاب قُد: الحقيقة المفاجئة حول ما يحفزنا: أن محاولة التحفيز عن طريق الوعد بمكافآت («ستحصل على درجة امتياز!») بها خلل. فسيجتهد الطلاب على الأغلب إلى حد الحصول على درجة يريدونها فقط وليس أكثر من ذلك. فيما تشير المكافآت الجوهرية إلى الرضاء الشخصي الذي يشعر به الشخص عند إنجاز شيء ما عندما تغيب الدوافع الخارجية. وقد يشعر الطفل المثابر المجد في عمله الذي حصل على درجة جيد أنه أكثر حفزاً من الطفل الذي حصل على درجة امتياز من دون مجهود يذكر.

فالعديد من أطفالنا منشغولون بمحاولة الحصول على مرتبة الشرف أو درجة امتياز بعيدة المنال التي تجعلهم يخسرون حب التعلم. وتشارك جيسكا لاهي (Jessica Lahey 2015)، وهي مربية ومؤلفة كتاب *The Gift of Failure*، فكرة أننا نوجه أطفالنا منذ اليوم الأول في المدرسة نحو «مذبح التحصيل» وندربهم على قياس التقدم من خلال النقاط، والدرجات، ومراتب الشرف، والمكافآت. (الصفحة 20) إننا نعلم أطفالنا أن ذكاءهم أكثر أهمية من شخصيتهم. كما نعلمهم العودة إلى المنزل حاصلين على درجات الامتياز، والمكافآت، والجوائز. ونتوقع خطابات القبول بالجامعة وعروض المنح الدراسية. وفوق كل ذلك فإننا نعلمهم الخوف من الفشل، فيما يمكن أن يدمر هذا الفشل حبهم للتعلم. (لاهي 2015)

العديد من أطفالنا منشغولون بمحاولة الحصول على مرتبة الشرف أو درجة امتياز بعيدة المنال التي تجعلهم يخسرون حب التعلم.

إننا نظن في هذه الأثناء أن أحدكم يفكر في أشياء مثل:

- ◆ «إنه يحتاج إلى الحصول على درجة امتياز ليتمكن من الالتحاق ببرنامج ماغنت (magnet program)».
- ◆ «لكن التعليم مهم للغاية بالنسبة لعائلتنا، ونتوقع أن يكون أطفالنا طلاباً حاصلين على درجات الامتياز». (ما يتوجب علينا توقعه هو أن أطفالنا يعملون بجهد ويطبّقون الاستراتيجيات المناسبة للتعلم، وربما يفرضي هذا الأمر لدرجة الامتياز وربما لا.)
- ◆ «إنها تحتاج إلى الحصول على أفضل الدرجات لتتمكن من الالتحاق بمنحة الدراسة بالجامعة، وإلا لن تتمكن من الالتحاق بالجامعة».

كل هذه أسباب متوفرة لرغبة أطفالنا ليصبحوا طلابًا بدرجات مع مرتبة الشرف، وحقيقة الأمر هي أنه حالياً في التعليم الأمريكي، على سبيل المثال، أصبحت الدرجات تذكراً للبرامج والمدارس الاستثنائية. ومع ذلك فإنه يوجد في هذه الأثناء كثير من اللغط على شبكات التواصل الاجتماعي وفي الصحافة المهمة بالتعليم الذي يتمحور حول قيمة الدرجات، وفي الواقع فإن المعلومات المعلنة حول المدارس أو المناطق التعليمية على الأغلب تطيح بالدرجات. لذا فهناك أمل في المستقبل! إلا أن الدرجات في أغلب مدارسنا هي واقع حتى الآن. أهم شيء علينا تذكره هو عدم المغالاة في درجات أطفالنا، والاهتمام أكثر بالتجربة التي يخوضونها. كما أن الجهد الذي يبذلونه مهم للغاية. وهناك عديد من الكليات والجامعات التي تقدر قيمة المقابلات مع الطلاب أكثر من السجل المدرسي ودرجات اختبارات (SAT/ACT) للالتحاق بالجامعات. وطبقاً لمركز فيرتست (Fairtest): المركز الوطني لضمان عدالة الاختبارات ووضوحها (بولاية داكوتا الشمالية)، فإن أكثر من 800 كلية وجامعة يجرون الاختبارات «اختيارياً» ولا يطلبون درجات اختبارات ACT أو SAT للسماح بدخول أعداد كبيرة من الطلاب الحاصلين على درجة البكالوريوس؛ إذ لا تكون درجات الاختبار هذه مؤشراً على النجاح. وتتضمن المقابلات التي استبدلت الاختبارات في هذه الكليات والجامعات أسئلة تقيس مقدار الأشياء مثل: أخلاقيات العمل وروح المثابرة، وهي الأشياء التي تساهم في النجاح في الكلية. وسيتم التعرض للمشاكل الأخرى المتعلقة بالمدرسة في الفصل السادس.

المرونة والتفاؤل

إن المنازل التي تنتهج طريقة التفكير المتطورة هي حيث توجد المرونة والتفاؤل. حيث يميل الأشخاص ذوو طرق التفكير المتطورة لأن يكونوا أكثر تفاؤلاً. ما هي الطرق التي يمكننا أن نجعل منازلنا من خلالها أماكن مليئة بالمرونة والتفاؤل؟

◆ كن مثلاً للمرونة يحتذى به. نقل هذا التغيير هو جزء مهم من الحياة. كن مثلاً على هذا الأمر من خلال انتهاج العقلية المرنة عندما تسير الأشياء عكس ما هو مخطط لها. ولا تدع المواقف المحبطة تنال منك. وبدلاً من ذلك، فلتجعل أطفالك مدركين لقدرتك على التكيف جراء تغيير في الخطط. وقدم الثناء لأطفالك على مرونتهم وقدرتهم على التكيف عندما تتغير الخطط أو عندما يكون النجاح نجاحاً غير فوري.

◆ كن مثلاً للتفاؤل يحتذى به. انتهج عقلية «نصف الكوب الممتلئ» في منزلك. حيث يؤمن الشخص ذو الرؤية التي تتسم بالأمل والتفاؤل بإمكانية وجود جانب إيجابي في أغلب المواقف.

◆ وعندما تحدث أشياء يُعتقد أنها «سيئة»، حاول العثور على الجانب الإيجابي في كل موقف. واستمتع به! على سبيل المثال: عند كسر كأس عرضاً، فقد يكون الرد الممكن هو «أصبح لدينا الآن مساحة أكبر على رفِّنا».

علينا أن نسعى جاهدين لأن نصبح نموذج البالغين الذي نرغب أن يكون أطفالنا مثله.

احذروا! وكن على دراية بطريقة التفكير

المتطورة الزائفة

نظن أحياناً أن لدينا طريقة تفكير متطورة، ولكن أفعالنا توحى بالعكس. حيث حددت كارول دويك (2016) وفريق عملها هذا الأمر على أنه «طريقة تفكير متطورة زائفة». نحتاج أن نكون على وعي ببعض الأشياء التي قد نقوم بها باسم «طريقة التفكير المتطورة»، ولكن في الواقع هي عكس ذلك؛ فهي أفعال توحى بطريقة تفكير ثابتة. وأحد هذه الأشياء هي إخبار أطفالنا أنهم قادرون على فعل أي شيء مثل: «بإمكانك القيام بأي شيء تصمم عليه يا صغيري». بالتأكيد هي رسالة مهمة، ولكن من المهم عند قولها وضع ما إذا كان لدى طفلك الخبرة والمعرفة لتحقيقها أم لا. وشرحت دويك (2016) هذه الرسالة بالطريقة التالية: «بينما تكون هذه الرسالة صحيحة، فإن الجزم بها لا يجعلها كذلك، وخصوصاً عند افتقار الطلاب للمعرفة أو المهارات أو الاستراتيجيات أو الموارد لتحقيق هذه الغاية». (الفقرة 8).

كما وجدت دويك ومساعدوها في البحث أن الكثير من أولياء الأمور يقدرّون قيمة طريقة التفكير المتطورة لكن يتفاعلون بطريقة تفكير ثابتة على الأغلب. وذكرت دويك (2015): «يتفاعل (أولياء الأمور) مع أخطاء أطفالهم كما لو أنها إشكاليات معقدة أو وخيمة بدلاً عن اعتبارها نافعة. وفي هذه الحالات يطور أطفالهم طريقة التفكير الثابتة أكثر حول ذكائهم». (الفقرة 12).

فعند البدء ببناء منزل ينتهج طريقة تفكير متطورة، كن صبوراً مع نفسك. ولا تتوقع حدوث ذلك بين عشية وضحاها. فمن الصعب ألا نتفاعل مع الأخطاء التي يقع بها أطفالنا، وخصوصاً عند التفكير أنه كان يتوجب عليهم فعل أمور أفضل. ويكمن السر في أن تتفاعل مع الأخطاء بطرق تؤدي إلى أن يفكر أطفالك ملياً، كما

تؤدي إلى إعادة توجيههم، وإلى أن يعيدوا النظر في الأمور. على سبيل المثال: اسأل طفلك بنبرة فضولية، ما الذي قد تفعله بطريقة مختلفة في المرة المقبلة؟»